القسم الثانى

استراتيجيات وأدوات التسلط فى الحوار: أمثلة من الواقعين العربى والغربى

فى هذا الجزء من الدراسة أود أن أستعرض ملامح وسمات واستراتيجيات لغة التسلط وظواهره، من واقع ملفات الحوار المتعددة فى قضايانا المهمة، والتى شاركت بها فى شكل مقالات، أرى ضرورة رصدها وتجميعها فى هذا القسم من الدراسة؛ لتتكامل صورة رصد أبعاد وإستراتيجيات وظواهر خطاب التسلط وآلياته. ومن خلال عديد من ملفات الحوار المهمة التى شاركت فيها على مدى فترة زمنية فى الأربع سنوات الماضية (منذ عام ١٩٩٢). وهذه المقالات تمثل جزءاً من بنك البيانات Data Bank، الذى استمددت منه مادة هذه المقالات، التى أصبحت بدورها جزءاً ممثلاً منه، وهى كالآتى:

أولاً: من وقائع تفاعلاتنا الثقافية

لغة التطرف والإرهاب بين «تكنولوجيا العداء» و«المبدأ الديمقراطى» (الأهرام ـ ١٩٩٢/٦/٣٠) (من ملف الإرهاب والتطرف فى فكر المثقفين بجريدة الأهرام)

تعقيب على المقال السابق بعنوان «ثم ماذا بعد»؟! (بقلم أنطوان سيدهم ـ جريدة وطنى ١٩٩٢/٧/٥)

«من أجل مصالحة ضرورية بين الأجيال»

«الاختلاف حول «التنوير «!! ـ جريدة» (البيان ١٩٩٣/٧/٢٢)

«التسلط فى حوار الأطباء والمرضى» (البيان ١٩٩٤/٧/٧)

«وماذا عن قنوات الحوار فى واقعنا..» (البيان ١٩٩٤/٤/٣)

لغة التطرف والإرهاب بين «تكنولوجيا العداء» و«المبدأ الديمقراطى»

إذا كان ملف لغة الحوار الاجتماعى والسياسى فى حاجة إلى أن نفتحه من وقت لآخر لنتأمل ونتدارس مايستجد من أحداث فى إطاره، فإن أحداث ماسمى «بالفتنة الطائفية» أو «الإرهاب» خاصة بعد اغتيال دكتور فرج فوده، لابد وأن تتم دراستها من خلال هذا الجزء من الملف، الذى ينبغى أن يتعرض المحلل من خلاله إلى تحليل لغة

الحوار التناحرى، الذى يعقبه لغة اللاحوار أو لغة الرصاص.. وهذه النوعية من الحوارات يسميها خبراء علم اللغويات الاجتماعى السياسى Dog- Fight Discourse والتعبير بالإنجليزية مأخوذ من مصطلحات القتال الجوى، حين يحاول الطيارون من خلال تحركاتهم ومناوراتهم المتعددة أن يصلوا إلى «ركوب ذيل الطائرة المعادية» ؛ حتى تكون فى مرمى نيرانهم.

أخشى أن الأحداث الأخيرة المتلاحقة فى مصر تقول إننا قد بدأنا فى مشاهدة فصول قاتمة من هذا النوع من الحوار المشابه لروتين القتال الجوى.. من هنا ننضم إلى الصوت القائل أن الأمر جد خطير ومؤسف، ويستوجب الهمة والسرعة والعزم والحسم الشديد فى مواجهته، حيث إنه لاينبغى أن يكون هذا النوع من التفاعل المقيت قائماً على أرض مصرنا الحبيبة، أرض التسامح. وملجأ الأمان على مر التاريخ. ومن خلال هذا الجزء من ملف لغة الحوار.. أود أن ألقى الضوء على أمرين، يمثلان امتداداً اللحوار الذى بدأه عديد من الأساتذة الأفاضل على هذه الصفحة، وهما مرتبطان أولا بتركيبة العقلية العدائية مصدر هذا النوع من الحوار، الذى سرعان مايتحول إلى اللاحوار، وثانياً مايعرف «بالمبدأ الديمقراطى» وهنا نطرح كيفية التعامل بحسم مع مصادر التطرف والإرهاب فى الوقت، الذى نحافظ فيه على «سوق طبيعية ومتنوعة لأفكار دون احتكار أو هيمنة»

أولاً : «تكنولوجيا العداء»

المقصود بالتكنولوجيا هنا هى كل تلك الوسائل المتاحة لتجسيد الصورة المنفرة للآخر على كونه «العدو» من قبل العقلية العدائية.. والسؤال الذى ينبغى أن نجيب عنه فى ظل الأحداث الراهنة ـ هو كيف تمكنت هذه العقلية العدائية من خلق هذا الفيضان الهائل من الشر، لدى البعض إلى الحد الذى هان عليه أن يطلق الرصاص ويستخدم الجنازير فى تفاعله مع الآخرين بتسرع وسطحية؟!.. إننى أود أن أستشهد فى هذا السياق بمقولة للفيلسوف المعروف سام كين الذى يقول فى كتابه المهم بعنوان «صورة الأعداء بين الدعاية والحقيقة: إن الأمر يتجسد فى صراع ثلاثة أنواع أصيلة أو صفات رئيسية فى الإنسان حيث إن الإنسان يتصف أولا: بكونه مخلوقاً عاقلاً ـ يحاول تعقل الأمور وفهم الدوافع (Homs Sapiens) ويتصف ثانياً: بأنه كائن يستطيع صناعة الوسائل التى تساعده على تحقيق مايفكر فيه Homo Faber وثالثاً يتصف الإنسان بخاصية العداء أو عقلية الكراهية التى قد تتملكه فى لحظة أو لحظات ما، وتجعل قلبه قاسياً لدرجة أن يقترف أبشع الأفعال (Homo Hosilis).. وهذه الخاصية أو الصفة الثالثة هى التى تمثل المشكلة الحقيقية.. ويقول سام كين فى كتابه أيضاً «إن المشكلة بالطبع لا فى صفة التعقل ولا فى صفة التكنولوجيا (أى صناعة الوسائل)، وإنما الكارثة تكمن فى تلك اللحظات التى يقسو فيها القلب الآدمى، وهذه هى الصفة المزعجة التى توارثها الإنسان جيلاً من بنى البشر إلى الحد الذى يدفعنا إلى تجريده من

إنسانيته بالكامل فى لحظة درامية ما، وهنا نحاول يشتى الطرق أن نجد كافة المبررات المنطقية أو تلك التى تبدو منطقية فى معظم الأحوال، والتى تجعلنا الرأى الصائب، الذى يبرر تلك الكراهية التى أصبحت تملأ وجداننا، ومن ثم نبدأ فى التحرك بدافع الشيطان، فنؤكد على أن الآخر المستهدف هو «العدو» الذى يصبح أمر التخلص منه خدمة للإنسانية.

مما سبق يمكننا القول بأن المشكلة التى نواجهها الآن فى مصر لها طبيعة عالمية، بالإضافة إلى الخصوصية الثقافية المتمثلة فى هيمنة خطاب الاستبداد والتسلط والتعليم التلقينى، وفقدان التألف العلمى مع تقنيات إقامة الحجج وتفنيدها.. من هنا ومن منطلق معالجة وجهى المشكلة، أطالب مرة أخرى بشئ محدد للغاية، وهو أن يتم تدريس مادة تسمى مادة لغة التخاطب على كافة المستويات التعليمية، إذا كنا بصدد عرض أحد الحدود العلمية والعملية على المدى الطويل كذلك اقترح أن يواكب هذا إعداد برامج إعلامية ناجحة وذكية، تتعامل مع نقل رسالة هذه المادة إلى الجماهير فى وسائل الإعلام؛ لتساهم فى حل على المدى القصير لهذه المشكلة المستعصية، التى تتسبب وسوف تتسبب فى كوارث كثيرة إذا لم نتحرك فوراً.. فمثل هذه البرامج التعليمية والإعلامية من شأنها أن تساهم فى صياغة جديدة للغة الحوار فى عمليات التفاوض الاجتماعى والسياسى، ويكون من شأنها زرع مايسميه علماء اللغويات الاجتماعى «بالشك الصحى».. أى ذلك الشك الذى نزعمه عن الآخر فى محاولة جادة للوصول إلى الحقيقة.. أى ذلك الشك الذى يجعلنا نسلك كل الطرق الممكنة، قبل أن نتهم الآخر أو نكرهه على نحو يتسم بالإطلاقية والتصنيف المتعسف والمتسرع.

وإذا كان من الواجب التعامل مع عقلية العداء بتركيبها ووسائلها على المستوى الداخلى، فإن على مصر ـ وفى إطار دورها المتميز على الساحة الدولية ـ أن تتعامل مع «عقلية العداء» خارج الحدود.. ففى ظل مفهوم «القرية العالمية» حيث أصبح الجميع فى حال تأثر وتأثير متبادل، نجد أن أمر التطرف والإرهاب الداخلى مرتبط بطريقة أو بأخرى بتطرف وإرهاب خارجى والمتمثل فى حركة من أسموا أنفسهم بالمسيحية الصهيونية والتى تنادى بهدم الأقصى ومحاربة المسلمين، جهاراً ونهاراً.. كذلك على الأزهر الشريف وهيئاتنا فى الخارج أن تبذل جهداً مكثفاً لتبديد الريبة والشك التى ينظر بها الغرب إلى الإسلام، وكذلك لتوضيح الصورة الحقيقية للإسلام، فلقد وصل الأمر بوسائل الإعلام الغربية إلى ترديف كلمة إرهابى ـ وعربى ومسلم، وهذا ليس فى صالح قضايانا الداخلية والخارجية على السواء.. ولقد لاحظ هذا الأمر العديد من المحللين والموضوعيين أمثال إدوارد سعيد كما فى كتابه المهم بعنوان «كيف تصف وسائل الإعلام الغربية الإسلام»، وكتاب جاك شاهين بعنوان «العربى على شاشات التليفزيون»، وكتاب صموائيل سليمان بعنوان «صورة العرب فى عقول الأمريكيين».

المقصود بمبدأ الجوهر الديمقراطى أن تقام فى المجتمع سوق مفتوحة لكافة الأفكار المختلفة، ويكون على وسائل الإعلام الدور الرئيسى فى إقامة هذه السوق فى الوقت الذى تعمل فيه على تمكين الشعب من التمييز بين الحقيقة والزيف، وإعطاء المعلومات الصادقة، وبالتالى تحقق عملية تنافس الأفكار بنزاهة وعدل الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى اختيار أفضل البدائل المتاحة وانتهاج أنسب السياسات الخاصة بموضوع ما..

ثانياً: المبدأ الديمقراطى

إذا كان ماذكرته من تعريف للمبدأ الديقراطى هو بمثابة تعريف مثالى لهذا المبدأ، فإننى أود أن أقول بأن ما نراه فى مصر من سوق للأفكار من خلال وسائل الإعلام والصفح المختلفة يمثل سوقاً للأفكار المتعددة، التى لم تشهد منطقتنا مثيلاً لها على مدى السنين الماضية، ولابد لأى منصف أن يشيد بما يحدث؛ لأن هذه السوق قد خلقت هامشاً ديمقراطياً لابأس به على الإطلاق، وينبغى حمايته والعمل على تعميقه، والوقوف فى وجه أى ممارسات، يكون من شأنها تحجيم هذا الهامش. من هنا أود أن القى الضوء على بعض السلبيات التى أعقبت حادثة أغتيال د. فرج فودة، والمتمثلة فى ملاح الحوار الذى سرعان ما يتحول إلى مرحلة التناحر واللاحوار.. وأقصد هنا تلك المقترحات بمصادرة الكتب والتصنيف المتسرع والمتعسف، الذى يتجسد فى حوار أنصار التيارات المختلفة لبعضهم بهدف احتكار الساحة. فعلى سبيل المثال لا الحصر يقول د. رفعت السعيد: «إن المناخ المتطرف صنعه القتلة الحقيقيون... التليفزيون الذى لم يزل يمنح الفرصة للبوم كى ينعق بخراب الواطن.. وصحف قومية تعطى الكتاب الدائمين فيها الحق فى امتداح المتطرفين، وتمجيد مايفعلون وتدعو للاعتداد بارائهم!!».

(الأهالى ٩٢/٦/١٠).. إن أى محلل منصف لايتفق مع مقولة د. السعيد، ويتساءل على الفور أى بوم ذلك الذى ينعق بخراب الوطن ويمجد أفعال المتطرفين ويمجده التلفزيون والصحف القومية؟!.. هل هناك إذاً من ـ يخلط بين الفكرة الدينية وبين التطرف!!..

وعلى النقيض لما ذهب إليه د. السعيد نجد أن أحد القادة من التيار الأصولى يتهمون التليفزيون ووسائل الإعلام بأن ممارسات هذه الأجهزة تتسم بالقصور الشديد، وأن ما حدث مسئوليته على الإعلام الحكومى!!. وإذا كان فى هذه المقولة ما يمثل نقداً لوسائل الإعلام فى الوقت، الذى ندد فيه هذا الطرف بأسلوب الإرهاب والاغتيال نجد أن أحد الصحفيين فى الصحافة القومية، قد قام بتصنيف هذه المقولة على أنها «صوت يشجع على الإرهاب»، وإذا كان هذا الجزء من تفاعلات النخبة ويتسم بهذا القدر من الإطلاقية والأسلوب التقريرى تارة والتبسيط الزائد اللإمور والتصنيف المتعسف تارة أخرى، فما بالنا بحجم المشكلة على مستوى العامة!.. إن هذه الظواهر الحوارية

التى تعرضنا لها هى بذرة التحول إلى اللاحوار من قبل أطراف الحوار على اختلافاتهم. إن هذا الوضع يوضح مدى حاجتنا إلى التأكيد على النداء الذى نطرحه، وهو أن تقوم لجنة من خبراء التعليم المتخصصين، ومن الإعلاميين بإدخال مادة تسمى بمادة لغة التخاطب فى العملية، وأن يكون لها وجهها الإعلامى فى الوقت نفسه، فهذا الأمر من شأنه تقويم جذور المشلكة وتدشين صياغة جديدة للغة الحوارالموضوعى، الذى يكون من شأنه التعامل الجذرى مع «العقلية العدائية»، وكشف وسائل «تكنولوجيا العداء» حتى لايكون البعض ضحية لها من ناحية، وحماية وتنمية الإحساس بالمبدأ الديمقراطى على أصول سليمة، تتناسب وواقعنا الثقافى من الناحية الأخرى والله ولى التوفيق.

(الأهرام ـ حسن وجيه ١٩٩٢/٦/٣٠)

ثم ماذا بعد ؟!

تقوم الحكومة بجهد فعال للقبض على الذين قاموا بجرائم الاعتداء على الأقباط فى محافظة أسيوط، وعلى الأخص بمنشية ناصر وصنبو مركز ديروط، مستخدمة فى ذلك ما لدى البوليس من قوات مدربة وعربات مصفحة وأسلحة حديثة، وهى دائماً لاتتحرك إلا بعد وقوع البلاء وقتل الأبرياء، وتخريب وحرق بيوت ومتاجر الأقباط الغلابة، أين كانت هذه القوات وهذا الحماس عند ازدياد التوتر فى هذه القرى، وما وجه إلى الحكومة من تحذيرات ومناشدات بالتدخل السريع الفعال؟ لقد كانت فى سبات عميق واستهتار وتهاون حتى وقعت المصيبة وكثرت المذابح واغتيل عدد عديد من الأبرياء الذين لاذنب لهم ولاجريرة ـ لسنا الآن فى مجال تحليل ومناقشة ماحدث فقد كثرت الكتابة عنه، ووجه الكثير من اللوم للدولة، لكننا الآن نريد أن ننبه الحكومة إلى مايجب عمله سريعاً، ثم على المدى الطويل لمنع وقوع مثل هذه الجرائم البشعة.

لقد صرح المسئولون كما كتب الكتاب بوجوب إصدار قانون للإرهاب، ثم ضمرت الهوجة سريعاً ولم نر ولا ملامح لهذا القانون، والظاهر كما قلنا فى مقالنا السابق أن الحكومة ستفكر ثم تفكر ثم تتحرك لتكوين اللجان المختلفة للدراسة، وهكذا سيطول الأمر ليصدر هذا القانون بعد حدوث موجات جديدة من المذابح للأقباط الأبرياء، وهذه هى طبيعة هذه الحكومات أن تصول وتجول وترتفع الأصوات وتكثر التصريحات، ثم تصاب بغيبوبة وسبات عميق لاتفيق منه إلا على نكبة تحل بالبلاد.

لقد كتب الكثيرون من المفكرين والأساتذة عن وجوب إعادة دراسة البرامج التعليمية، وإعادة دراسة الكتب المدرسية وتنقيتها من كل مايبذر بذور الكراهية والبغضاء بين التلاميذ والطلبة المسلمين والأقباط، فتخرج الأجيال القادمة معبأة بكل عوامل الفتنة والفرقة، كما يجب محاسبة المدرسين الذين يقومون بتسميم أفكار ونفوس الصغار

الأبرياء ضد زملائهم المسيحيين، والتفرقة بينهم فى فصول محددة لكل فئة، وقد قرأنا لكثير من الأباء الأمهات المسلمين الذين ذكروا عديداً من الحالات المؤسفة، مظهرين ألمهم لهذه السياسة الهدامة فى تنشئة الصغار على الحقد والكراهية. وبعد انتهاء موسم الامتحانات فأننا نرجو من الأستاذ الكبير وزير التعليم أن يعطى هذا الموضوع اهتماماً خاصاً، وأن يتولاه بنفسه لما له من أهمية كبيرة فى تنشئة أبنائنا ومستقبل الأمة.

إن موضوع الإعلام يستولى على اهتمام كثيرين من أبناء هذا الوطن، الذين يحز فى نفوسهم ماتردت إليه حالة هذا المرفق المهم، الذى أصبح المؤثر الأكبر على توجيه فكر أغلب الشعب، لقد أنار الدارسون هذا الموضوع طالبين أن تكون كتابات الصحف والمجلات بعيدة عن المساس بالدين المسيحى، وعدم التعرض له بالهجوم والسخرية المبنية على أفكار وتفسيرات ومفهومات خاطئة، ووجوب احترام جميع العقائد السماوية.

أما الإذاعة والتليفزيون فقد تردت حالتها وأصبحت مجالا دائماً للهجوم المحموم على الدين المسيحى بمغالطات وجهل فاحش، ورميه بأبشع الصفات والاتهامات؛ مما يملأ نفوس المشاهدين بالكراهية للدين المسيحى ومعتنقيه، والسخرية والاستهتار بهم، وفى هذا تفرقة بين المسلمين والمسيحين، وإذكاء للفتنة الطائفية. إننا لانطالب بالحد من البرامج الدينية ولكننا نرجو أن تتولى شرح وتبيان ما فى الأديان السماوية من محبة وسلام وقيم رائعة تملأ النفوس بالهدوء والسكينة، والاتجاه نحو كل ما طيب وصالح فى هذه الحياة.

لقد كتب الأستاذ الدكتور حسن وجيه - الأستاذ بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٢/٦/٣٠- مقالاً رائعاً تحت عنوان «بين تكنولوجيا العداء والمبدأ الديمقراطى»، وفيه تكلم عن لغة الحوار الاجتماعى والسياسى، وما يجب أن تكون عليه، وانتهى فى مقاله إلي المطالبة بتكوين لجنة من خبراء التعليم المتخصصين ومن الإعلاميين بإدخال مادة، تسمى بمادة لغة التخاطب فى العملية التعليمية، وأن يكون لها وجهها الإعلامى فى الوقت نفسه، فهذا الأمر من شأنه تقويم جذور المشكلة، وتدشين سياسة جديدة للغة الحوار الموضوعى، الذى يكون من شأنه التعامل الجذرى مع العقلية العدائية؛ حتى لايكون البعض ضحية لها من ناحية، وتنمية الإحساس بالمبدأ الديمقراطى على أصول سليمة تتناسب واقعنا الثقافى، ونحن نضم صوتنا إلى صوته مطالبين بتنفيذ هذا الأقتراح البناء.

نشرنا بالعدد الصادر يوم ١٩٩٢/٦/٢١ بمقالنا تحت عنوان «المغالطات والمهاترات» أن بعض المجلات كتبت أن سيدة قالت فى لندن بأنه تكونت فى أسيوط جماعات

الجهاد المسيحى، وقد وصلتنا رسالة من سيادتها تذكر فيها بأن مانشر لايطابق الحقيقة، وأن ترجمة ماقالته جاءت محرفة وغير سليمة، وهى لم تقصد بتاتاً مانشر.

انطوان سيدهم

رئيس تحرير جريدة وطنى

٥ يوليو ١٩٩٢

مصالح ضرورية بين الأجيال

هناك أحداث وأوضاع كثيرة تنطق بخطأ (جسيم) فيما يتعلق بعلاقة الشباب بالأجيال السابقة، وحجم ودور الشباب فى مواقع المشاركة الفعلية فى البناء وفى عمليات اتخاذ القرارات على المستويات المختلفة.. إننا لابد وأن نتناول هذا الأمر من عدة زوايا منها مايلى:

المنظور العلمى: وهنا نرصد غياب المؤسسة، التى تعالج موضوع الشباب وعلاقته بالجيل السابق بالدراسة العلمية المرتبطة بالواقع، كما يحدث فى الدول التى تهتم بالتنبؤ بالأزمات قبل حدوثها، ومن ثم نتمكن من السيطرة على مسار الأحداث وتجنب تفاقم الصراع.. الأمر الذى يعود بالنفع على كل عمليات التقدم بهذه الدول.. إن علينا أن نهتم ونستفيد فى هذا الصدد بدراسات مايعرف الآن بعلم اجتماع الشباب، وبتلك الدراسات فى علم اللغويات الاجتماعية، التى تعنى بدراسة الحوار بين أفراد الأسرة الواحدة، وكذلك الدراسات التى تعنى بظواهر التسلطية فى الحوار على مستوى المجتمع. إننا وإذا كنا بصدد الأخذ بالعلم لحل مشكلتنا، فعلينا أيضاً أن نقدم توصيفاً دقيقاً لحقل التطبيق فى واقعنا، وهنا نرصد الملامح التالية:

الحوار الظاهرى وشباب بين الاستقالة والإقالة!

أتذكر هنا عديداً من مقولات شباب الجامعات وغيرهم عن غياب الحوار الفعلى معهم، وعن غياب الاهتمام الحقيقى والفعال بأنشطتهم، واحتضان وتوظيف طاقتهم بصورة جادة.. وفى مقابل لغة الشكوى هذه نستمع إلى سيل منهمر من مقولات الجيل الأسبق، التى تنمى لغة التأكيد والطمأنينة؛ حيث تؤكد تلك المقولات على أهمية الحوار مع الشباب وأن الشباب هم قوة البلاد ومستقبلها وعمادها.. وأن للشباب كل شئ.. ولكن الواقع يقول إن الشباب لايحصل على شئ يذكر.. وحينما يجد الشباب مثل هذه الفجوة المتسعة بين القول وواقع الحال، نلاحظ أنهم يقدمون استقالتهم الجماعية بعد أن ينتابهم شعور بأنه قد تمت إقالتهم بالفعل، وهنا نجد قطاعاً كبيراً منهم تنتابه حالة من «صمت اليأس»، وقطاعاً آخر يخنع وينزوى فى المنزل أو النادى أو القهوة فى انتظار الوظائف أو انتهاء الدراسة فى نظام تعليمى، نصف عامه الأكاديمى يمضى فى إجراءات الكنترول والامتحانات، مع غياب لأى أنشطة حقيقية تتبنى هذا الشباب إيجابياً.. وجزء كبير من هذا القطاع من الشباب عادة ماتبتلعه أجهزة

التليفزيون والفيديو فتحوله إلى صورة قريبة من صورة الكاريكاتير المعروف باسم «جنجح» أو صورة ممسوخة، هى نتيجة طبيعية لتركيبة البرامج والإعلانات، وتلك المادة الإعلامية الهلامية التى نعرفها ووصفها كبار مفكرينا بما تستحقه من أوصاف دقيقة. كذلك نلاحظ انصراف قطاع آخر من الشباب للمخدرات ولاشك أننا نجابه هنا مشكلة كبيرة جداً..ونجد قطاعاً آخر يهرب من حضارته ومستقبله بالتقوقع فى غيبوبة الماضى والرفض السلبى لكل شئ.. وأكثر مانعانى منه هو ذلك القطاع الذى انصرف إلى الإرهاب واستخدم العنف ولغة الرصاص.. وهنا ومع الحسم الواجب إلا أننا لابد وأن ندرس الموقف ليس على كونه مؤامرة خارجية فقط.. لأن هناك أسباباً موضوعية متعددة الزوايا.. وهنا يجب أن نحاول تفسير أحداث إرهابية ومتطرفة، غير تلك الأحداث الخاصة بضرب السياحة والهجوم على رموز النظام الحاكم.. وهنا علينا أن نفهم مامعنى تكرار خواطر ضرب التلاميذ للأساتذة.. وكان آخرها على مستوى أكبر من مستوى «التلاميذ» حادثة تهجم أحد المعيدين على عميد كليته، والمشرف على رسالته العلمية وطعنه عدة طعنات بالسكين فى نهاية حوارهما بخصوص الرسالة، التى قدمها المعيد للعميد!! أتصور أن هناك عنفاً وإرهاباً ليس له علاقة بمؤامرة من الخارج.. ويجب دراسته فى سياقه الصحيح..

وفى نقاش حول موضوع، لفت نظرى أحد الأصدقاء إلى مقال بعنوان «الشباب المصرى يخسر معركة صراع الأجيال: كهول يسيطرون على المواقع القيادية حتى الرمق الأخير»!! والمقال يستشهد بدراسة تتسم بالجدية والطرافة معاً، خرجت مؤخراً من قسم الاجتماع بجامعة القاهرة، تتحدث عن صراع الأجيال المعاصرة فى مصر ـ وقد توصلت إلى نتيجة خلاصتها أن أقلية من المعمرين تسيطر على كل دوائر النفوذ وصنع القرار من الأحزاب للحكومة، للقطاع الخاص، وتؤكد الدراسة أن هذه الأقلية متساندة ومتضامنة ومتحالفة ضد أى عمليات اختراق من أجيال الشباب.. وأن تحالف المعمرين أقوى من كل القوى الأخرى.. وتقدم الدراسة نماذج عديدة، نستشهد هنا ببعضها على سبيل المثال لا الحصر: حزب الوفد: فؤاد سراج الدين (٨٩ عاماً) وإبراهيم فرج (٨٥ عاماً).. والمرحوم وحيد رأفت (مات وعمره يناهز التسعين رحمه الله)

حركة الإخوان المسلمين عمر التلمسانى بدأ قيادته للحركة، وعمره كان أكثر من سبعين عاماً، وظل فى موقعه حتى توفى إلى رحمة الله وعمره (ثمانون عاماً)، وجاء بعده حامد أبو النصر (٨٨ عاماً) ويساعده مأمون الهضيبى (٧٥ عاماً) ـ حركة الناصريين: ضياء الدين داود (٧٠ عاماً)، فريد عبد الكريم (٧٥ عاماً).. أما الشباب الناصرى فقد خرج من لعبة القيادة على كل المستويات بما فى ذلك اللجنة المركزية..

حزب العمل: وتولى أمره إبراهيم شكرى عام ١٩٨٧، وكان عمره آنذاك (٧٠ عاماً) وساعده القيادة د. حلمى مراد وكان عمره آنذاك (٧٠ عاماً). وتذكر الدراسة أن هناك أحزاباً حديثة العهد، نشأت بالفعل فى عهد الرئيس السادات رحمه الله والذى كان يؤمن بدور الشباب هو الرئيس حسنى مبارك من بعده.. وأن فكرة الحزب الوطنى كانت مستلهمة من فكرة الزعيم الشباب مصطفى كامل، الذى أنشأ الحزب الوطنى عام ١٩٠٧.. ولقد تم اختيار مجموعة من الشباب للنهوض بهذا الحزب، وتفيد الدراسة أن القطاع الخاص له نفس السمات.. بل إن المتأمل فى كافة تحركات المجتمع المدنى «الحديثة» على ساحة تفاعلاتنا ليجد أنها بنمط المعمرين (حفظهم الله)، وغياب دور الشباب، وربما لهذا الوضع أسبابه المتعددة ولكنها حقيقة تسوجب التأمل.

وغياب دور الشباب سواء باستقالة الشباب وفقدانهم الصيغة الفاعلة أو إقالتهم من قبل الجيل السابق، ينبغى تسليط الضوء عليه لأنه من الأمور التى تمس صميم العملية التنموية.

ولقد ساقتنى الظروف للقيام بمهمة الترجمة الفورية فى لقاء حضره نائب رئيس جامعة فى ماليزيا، ومعه وفد يمثل هيئات عليا هناك، وعندما ذهبت إلى مكان اللقاء فوجئت أن «نائب رئيس الجامعة شاب فى السابعة والثلاثين من العمر، وأن الوفد كله تحت الأربعين، وانتابنى شعور يجمع بين الاندهاش والإعجاب، وتصادقنا وتبادلنا أطراف الحديث، وعلمت أن هذا الأمر مألوف فى ماليزيا.. التى يقودها الشباب الآن فى معظم قطاعاتها.. وهنا أتساءل. هل لهذا علاقة بأن ماليزيا من الدول التى تعد على أصابع اليد التى يزداد فيها معدلات النمو والدخل بصورة مطردة، وأنها تشهد حركة تقدم متميز للغاية؟!

إنه من القيم الراسخة والثابتة عندنا أن نحترم ونقدر الجيل السابق دائماً، ولكن ألم يحن الوقت «لتتفاوض» معاً لصالح عملية التنمية على الدور والحجم، الذى لابد وأن يكون للشباب، حتى يشترك فى عمليات صناعة القرارات وتحمل المسئوليات، ونحاصر بذلك ما ألم بقطاعاته التى تحدثنا عنها، ونعيد صياغة الأوضاع لصالح مصر.. ألم يحن الوقت لأن يشارك شباب سن الثلاثينات والأربعينات.. إن الأمر مرتبط بأمور متعددة ينبغى التصارح بشأنها.. والأمر كذلك متروك الآن للجيل السابق؛ ليقول كلمته وليقدم على اتخاذ الفعل، الذى يراه مناسباً وعادلاً فى مسيرته نحو العطاء الإيجابى مع كل التقدير والعرفان (حسن وجيه ـ الاهرام ١٩٩٢/٧/٥)

الاختلاف حول «التنوير»!!

كأى مصطلح نتحاور بخصوصه فى حوارتنا من أجل التقدم والبناء، نلاحظ أن نهاية التحاور حول كثير من الموضوعات ينزع إلى جذب الأمور نقطة البدء مرة أخرى،

والمحلل الموضوعى لهذه الظاهرة الخطيرة للغاية، يجد أنها ترجع إلى عدة عوامل تتعلق بأسس الحوار العلمية الغائبة ومنطلقات، التى لاشك أنها بحاجة إلى التأصيل فى الممارسة الحقيقية، وعلى المدى الطويل حتى ناتج تفاعلاتنا إلى الطريق الأكثر إيجابية وإشراقاً.

فلم يكن الحوار مفهوم التنوير فى جلسات عديدة من ندوة التنوير بين مصر وأوروبا استثناء من هذه القاعدة المؤسفة، والتى لن نيأس من محاولة المساهمة فى وضع حل لها بكل السبل والوسائل الممكنة فى العملية التعليمية والإعلامية.

وسوف ألقى الضوء على قضيتين فى آن واحد: الأولى وهى القضية المشار إليها آنفاً بخصوص بعض السمات السلبية للتفاعل لغياب الإدراك العلمى الدقيق لمبادىء الحوار، ويصاحب هذا إثارة قضية الحديث.

عن موضوع التنوير والذى يمثل فى حد ذاته قضية مهمة جداً، تحتاج إلى استكمال الحوار على نظافة يسمح ببلورة المنطلقات، التى ينبغى وأن يشترك فى صياغتها الجميع من المهتمين؛ لأنها حكر على مجموعة معينة بالتأكيد، وبداية نحو هذا الاتجاه التعرض بالنقد لبعض الظواهر السلبية، ولكن لايفوتنى هنا أن أشكر جهد القائمين على إعداد هذه الندوة والمشاركين بها، وهى كالآتى:

١ ـ ملامح ظاهرة الانقضاض فى الحوار كأحد ملامح التسلط.

المقصود بهذه الظاهرة أن يحاول متحاور ما أن يوظف عديداً من الاستراتيجيات اللغوية النفسية والاجتماعية بشكل مكثف، يهدف أساساً إلى تأكيد أجندة ثابتة ومسبقة؛ بحيث لاينتظر ناتج التفاعل الذى هو بالضرورة تحاور وتصارع أجندات ومفاهيم وتصورات مخالفة أو مختلفة من قبل المتحاورين، بأن يتبنوا أكثرها منطقاً وعدلاً فى نهاية الأمر، دون حدة أو احتداد، وهذا هو المعنى الصحيح للحوار الإيجابى وللتثاقف.

ولقد ظهرت سمات ظاهرة الانقضاض هذه واضحة من خلال آراء عديد من الأساتذة والمفكرين من بنى جلدتنا، اشتركوا فى هذه الندوة، وأكدوا بشتى الطرق على أن التنوير الحقيقى والعملى هو أن تكون مصر جزءاً من أوروبا، وبمعنى آخر أن أسس حركة التنوير ومنطلقاته التى ظهرت فى القرن السابع عشر بأوروبا وما لحقها من ممارسات، هى المنطلقات التى ينبغى أن يؤسس وتستمر عليها عملية التنوير فى مصر، وإلا فليس هناك تنوير؛ فطبقاً لتقرير التنوير الأوروبى، علينا أن نقلد وننقل ونتلقى طالما أنه ليس لنا إسهام فعلى، وينتهى الأمر عند ذلك.

وإلى هنا يستمر الحوار ولا بأس، فلكل محكمة فى رأسه، ومن حق الجميع أن يدلى بما لديه مهما كان الرأى، طالما اتفقنا على مبادىء التحاور ولكن لنر ماذا حدث

عندما تم تفنيد هذا الرأى الأوروبى بالندوة. لقد قام هذا التفنيد على أسس ومنطلقات مفادها أن لمصر خصوصية ثقافية، وأن عالميتها ودورها المتميز فى عالم الأمس واليوم يجىء من خلال هذه الخصوصية وحيثياتها الدقيقة، وأننا يجب أن نعنى بالنظرة الأكثر شمولية وأنه من المتعين علينا أن نعى حقيقة منطلقات التنوير فى أوروبا، وعلينا أيضاً أن ننظر بعمق إلى مايساوى مفهوم التنوير فى واقعه العربى والإسلامى، وأن نرصد من هذا ومن ذاك مانراه مناسباً لصيانة التقدم فى جميع الميادين بما يتلاءم وخصوصية مصر وروح العصر، بحيث نؤكد على جانب التفكير العقلانى من ناحية، والجانب الروحى وجوهر الإيمان معاً من ناحية أخرى، دون طغيان لسلطان العقل بلا حدود، الذى يؤيده فريق التنوير الأوروبى المصرى، والذين يرددون ما نادى به بعض مفكرى أوروبا.

وهؤلاء يتناسون أن هناك حركات فكرية أوروبية قد انتقدت مفكرى التنوير، الذين يتجاهلون أهمية الجانب الروحانى فى معالجة الكثير من المشاكل الاجتماعية، مثل إمكان الحياة والموت والإحباط والمصير وغيرها.

أريد هنا أن أذكر فريق مفكرى التنوير بأن يقرأوا مذكرات إيزنهاور، الذى يقول إن من أسرار فترة حكمى فى البيت الأبيض أننى أمر بلحظات تاريخية حاسمة، وكان يقينى فيما يجب أن أفعله يمثل ٢٠٪ من التأكد العقلانى، ولكنى كنت أصلى واتخذ القرار.. فإننى أؤمن بأن هناك قوى ربانية عليا، تجعل الأمور تسير فى طريقة ما ولا شأن للقابع فى البيت الأبيض بأى سلطان عليها.

هذا مثال فقط للتدليل على أهمية الجانب الروحانى أو أثره الحقيقى فى الممارسة لبعض قواد الغرب أنفسهم، فما بالنا بمنطقتنا مهد الديانات كلها. إن إغفال الجانب التنويرى الروحانى يؤدى بلا شك إلى تقويض الحضارة، وهنا يقول الأفغانى إن الحضارة الصناعة العربية الحديثة ليست المثل الأعلى؛ لأنها تتسم عموماً بالعجز الأخلاقى، وبأنها حضارة مولدة للحروب والجشع وإلا فكيف نبرر ماحدث فى البوسنة والهرسك الآن؟

ويقول الأفغانى إن التقدم لايمكن أن يكون إنسانياً وأخلاقياً، إلا إذا استند إلى أساس روحى، وأن الغرب لم يتفوق على العالم الإسلامى إلا بآلاته وقوته المادية أما التقدم الحقيقى فالشرق والغرب لايزالان بعيدين عنه، والبشرية كلها قد تأخرت وتراجعت عندما تخلت عن جذورها الروحية.

وأخيراً أود أن أسأل كيف يقترح علينا فريق سلطان العقل بلا حدود معالجة بعض آثار الزلزال المعنوية، والتى لاعلاج لها إلا بحوار من النوع، الذى يؤكد على حدود سلطان العقل البشرى وقدرة سبحانه وتعالى وما قدره لكل إنسان، وسمات هذا الحوار سنجدها فى فكر مثل فكر الرشد العرفانى أو مفهوم الأنوار الذى طرحه الغزالى فى

رسالته بعنوان مشكاة الأنوار، والتى تمثل مثالاً لفكرة رئيسية من أفكار التنوير فى واقعنا العربى والإسلامى، والتى أسس من خلالها فلسفته فى الإشراق، والتى تذهب إلى أن النور الحق هو الله تعالى، وأن الوصول إلى معرفة الله هو نشاط عقلانى لأرباب البصائر الذين يستطيعون أن يستكشفوا حقائق الكون لكى يصلوا إلى معرفة الله.

ولكن كيف يطرح هذا النموذج غير الغربى!! على فريق التنوير الأوروبى؟

هنا ينقض أعضاء الفريق التنوير الأوروبى على طرح فكرة المزج بين التفكير العقلانى والجانب الروحانى لإفهامه حجم الخطأ والتناقض، الذى وقع فيه وتتعدد سمات ظاهرة الانقضاض فى الحوار. ولكن أهم هذه السمات يكمن فى تقطيع النص إلى قطع صغيرة، تخرج الفكرة الرئيسية عن السياق الأصلى تماماً؛ بحيث يتمكن متحاورو الفريق من التركيز هنا على نقطة استطراد لتثبيت اليقين لهذا الفريق، الذى لاتخلو مقولاته من نقد التفكير المسبق وإدانة الوصاية على الرأى، وإذا بهذا الفريق وبطريقة ربما لاشعورية يجسدون فعل الوصاية وفعل التفكير المسبق، فبمجرد سماع البعض منهم لكلمة الغزالى فإذا بهم ينتقدون نقاطاً أخرى قالها الغزالى، ولكن لم يتعامل معها نهائياً النص المطروح والمنتقد فى تلك الندوة، فكيف يستشهد أحد بالغزالى الذى كتب كتاباً عن تهافت الفلاسفة وفريق التنوير الأوروبى يضم أساتذة كباراً فى الفلسفة؟!

لم يتحدث أحد عن هذا الكتاب فى الندوة، ولم يشر إليه إلا أساتذة الفلسفة فى هذا الفريق كأسلوب للانقضاض العشوائى. إن هذه الأمثلة للانقضاض العشوائي متكررة فى حواراتنا. فعلى صعيد الأحداث الراهنة كان أحد الجيولوجيين قد بدأ تحليله للزلزال بقوله إن بحيرة السد العالى «بحيرة ناصر» هى السبب، وقبل أن يعى المستمع ماذا يريد أن يقوله هذا الخبير فإذا بهذا المستمع يعقب على تحليل الخبير الذى لم ينتقد الحقبة الناصرية من بعيد أو قريب ويقول: ياأخى ليس هذا وقت للتهجم على الانجازات الناصرية؟! وإذا بالجيولوجى يهز رأسه تعجباً واندهاشاً فما قاله كان رأيا اقتصادياً علمياً فقط..كل ماكان يشير إليه هو فعل البحيرة التى صادف أن تحمل اسم الزعيم عبد الناصر!!

٢ ـ ظاهرة الإحباط وتقليل قيمة الذات والأخر

نلاحظ هذه الظاهرة فى كثير من تفاعلات النخبة مع الأسف، ولن نخوض فى أسباب ذلك هنا فلهذا سياق آخر، ولكن ليس من حق أحد أن يعكس إحباطاته وتشاؤمه المفرط على الآخرين؛ الأمر الذى ينعكس بالسلب على الأجيال القادمة التى ترث هذه النظرية الهدامة، رغم وجود جوانب مشرقة بلاشك فى واقعنا رغم كل ما نمر به.

فعلى سبيل المثال أتهم بعض أعضاء فريق التنوير الأوروبى الجديد بأنه لايوجد بينهم من يفهم أو يعى مفهوم التنوير بمعناه الحقيقى، وأن الموجود على الساحة أشباه مثقفين فقط لاغير، وأتهم البعض الآخر والندوة مسجلة أن مؤسسات الدولة الراهنة هى مؤسسات ضد التنوير، وهذا إبخاس واضح وغير عادل وتلك الندوة من التنوير وغيرها من ندوات التنوير أيضاً قد أقيمت فى مؤسسة من أعرق مؤسساتنا، وهى جامعة عين شمس، وأن الذين قالوا هذه العبارة هم أصحاب أقلام بل صفحات كاملة فى أكبر وأهم صفحاتنا ويقولون ما يشاؤون، اللهم إلا إذا كان التنوير وهو كذلك على طبقاً لما قالوه ومارسوه من استراتيجيات حوارية ـ لابد وأن يكون طبقاً لمعاييرهم فقط.

٣ ـ تصنيف واقعنا إلى معسكرات

من مثل هذه التغييرات التصنيفية غير العادلة أن يقول أحد أنصار أفكار التنوير الأوروبى إن محمد عبده كان من رجال التنوير، على الرغم من أنه من رجال الأزهر! وفى هذا تصنيف غير عادل وتقسيم الواقع إلى معسكرات متناقضة، كأن الأزهر منارة مصر والتنوير بمثابة مفهومين متناقضين!! كذلك رأى بعض أعضاء هذا الفريق أن الجمعبين الأصالة والمعاصرة وبين الجانب الروحانى والعقلانى أو التراث والحداثة هى فكرة هزلية!

إننا إذا كنا ننتقد ممارسات التيارات المتطرفة من عامة الناس، الذين لم يحظوا بالقدر الكافى من العلم، وهم هؤلاء الذين يتعسفون ويعممون بأخلاقية مجحفة فى أحكامهم، وينكرون على الإسلام جوهره، وأنه انتشر فى ظل التعددية والتعايش مع الآخرين مهما كان الاختلاف.. فإننا نود أن نشير إلى أن الممارسات الحوارية التى ذكرنا بعض الأمثلة لها فى تفاعلات ندوة التنوير، هى الأخرى لاتبتعد كثيراً عن تلك الأنماط التفاعلية السلبية فى تفاعلاتنا حول مفاهيم أخرى، وهذا لايحدث فقط فى الجامعات ولكن فى نقاباتنا المهنية والحزبية وعلى مستوى التيارات المختلفة. إلا أن الطامة الكبرى أننا هنا نتحدث عن التنوير أو الأنوار!! ولكن لن يقودنا للتشاؤم بل للسعى الدؤوب والنظر دائماً إلى كل ماهو مشرق، فمن الخصوصية المصرية انتصار التفاؤل والعمل الجاد دائماً فالحاضر والمستقبل رهن بتحركنا، والعدل أن نقول إننا لانتحرك من نقطة الصفر فهناك إنجازات كثيرة مشرقة فى ماضينا وحاضرنا، لا ينكرها إلا جاحد ونحن نتحرك من عندها نحو بناء أمة الأخاء والعدل، وترد كيد المعتدين ولله ولى التوفيق. (ـ حسن وجيه البيان ٩٩٣/٧/٢٢)

التسلط فى حوار الأطباء والمرضى من منظور العلم والواقع

منذ مدة بدأت فى كتابة بحث، لم يكتمل بعد، عن طبيعة الحوار بين المرضى والأطباء، وكانت دوافع القيام بهذا البحث متعددة ومتداخلة، وكان أهمها هو تعريف القارىء العربى بطبيعة وأهمية كم من الأبحاث الحديثة جداً، تندرج فى إطار ماعرف بتحليل حوار الأطباء مع المرضى. (Doctor / patient com.)

وبإيجاز شديد، ترتكز هذه الأبحاث على افتراض أساسى وهو أن هناك أسساً علمية وحيوية، ينبغى وأن تنتهج فى أسلوب التحاور بين الطبيب والمريض والعكس، لأن افتقاد مثل هذه الأسس تفقد الطبيب أهم عناصر وأدوات التشخيص الدقيق والصائب لنوع المرض وحالة المريض (بل وحالة الطبيب كذلك). وإذا كان ماتقدم يخص المنظور العلمى للتعامل مع هذا الموضوع ـ بإيجاز شديد ـ فإن دوافع الخوض فى هذا الموضوع هو ذلك الوضع التعيس، الذى نجده مستجداً فى واقع ممارستنا فى العالم العربى، فى عديد من الحالات. والحديث عن مثل هذه الحالات السلبية، نتناوله فى محورين هما:

العبث بإدارة الوقت

إذا كان لسوء إدارة الوقت وتقدير قيمته القيمة الحقيقية ملامح كثيرة مع الأسف فى واقعنا العربى، فإن هذه السمات تتجسد بشكل مخيف فى واقعنا العربى، ولعل القارىء يتذكر كم الوقت الكبير الذى نضيعه انتظاراً للطبيب فى عيادته مثلاً، ليس فقط لأن الطبيب يقوم بالكشف على عشرات الحالات فى ليلة واحدة، بل لأن الطبيب لم يحضر للعيادة إلا فى آخر الليل فى أحيان عديدة، فقد تحجز، ويقول الأستاذ عبد الله باجبير فى عموده الشهير بجريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٩٩٤/٩/١٢ «بأن قليلاً من الأطباء فى عالمنا العربى المتمسك بالوقت الذى يحدده للمريض». ويضيف قائلاً:

«تتصل بالعيادة وتحجز موعداً فى السادسة، ولكن الطبيب يصل فى الثامنة، وحينما يحين دورك تكون الساعة العاشرة، ويذكر أن صديقاً له قد ذهب لعيادة أحد الأطباء فى السادسة، ودخل غرفة الكشف فى الثالثة صباحاً، فهل يعطى مثل هذا الطبيب أي اهتمام بوقت مريضه؟ وهل يكون قادراً فى هذا الوقت من اليوم على التشخيص السليم»؟

التسلط وحوار «كتم الأنفاس»

إذا كان عدم الاكتراث بالآخرين ووقتهم يجسد أحد ملامح وطبيعة الحوار المسلط، وهو حوار ما أسميته بالقناة الأحادية؛ حيث لايعبأ طرف بالطرف الآخر بكافة أشكال عدم الاكتراث.. فإن الشق الثانى الذى يجسد حالات الممارسة السليمة التى توصف طبيعة حوار الأطباء والمرضى فى كثير من حالات واقع ممارستنا، يتلخص فى تعبير الحوار التسلطى، وهو حوار شائع عموماً. وإذا كان ينبغى مقاومة أنماط مثل هذا الحوار فلابد وأن يتم مقارنتها فى حوار الأطباء والمرضى، على الأقل من باب التمسك بالحرفية، واحترام الأسس لما ينبغى وأن تتسم به ثقافة الطبيب والممارسة العلاجية المنضبطة، ولعلى أرصد هنا نماذج من بعض الحوارات فى هذا الصدد:

* أحد المرضى يستدعى طبيباً من «ذوى السمعة الجيدة» لحالة خطيرة، فيطلب منه مساعد الطبيب أن ينتظر على الخط، فينتظر عشر دقائق إلى أن يسمع صوت الطبيب

فيبادره بطلب زيارة منزلية بكل التأدب والحاجة والشعور بالامتنان المسبق فيرد الطبيب باقتضاب «أجيلك» ؟! «ماتيجى أنت ياأخى بكره وتخلصنا!!؟» .

* أحد الأطباء «يشخط» فى زوجة أحد الزائرين لعيادته، والتى كانت تشرح له حالة الإبن «فيقول بسرعة إخلصى» فى حين أنها لم تكن قد استغرقت أكثر من ٤٠ ثانية، وكانت تقول أوصاف ألم طفل لايستطيع الكلام بعد، وهنا يضطر الزوج للتدخل بحدة فى الحوار لكى ينبه الطبيب إلى تجاوزه فى أسلوب الحوار أولاً، ويلفت نظره لأبسط قواعد التشخيص السليم ،وهى الاستماع الجيد لما يقال من أعراض.

* طبيب يهم بإعطاء أحد الصحفيين حقنة دون تقديم تفسير فيسأله الصحفى (المريض) عن هذا العلاج الذى يعطيه إياه.. فيطلب منه الطبيب طلباً غريباً.. ويقول له «أنا لا أتدخل فى مقالاتك أو تقاريرك المهنية فلا تتدخل فى شؤون عملى!؟ نعم إنه عمله ولكن إيضا إنه حق وجسم المريض!؟!

مثال من الواقع

فى أحد التحقيقات الصحفية عن رحلة من أعجب مايمكن، ذكر أن سيدة عربية كانت تشكو من «تكويعة» مستمرة ورغبة ملحة فى القيء وذلك بعد فترة وجيزة من الزواج، لم تتعد العام الواحد، وذهبت لتكشف عن سبب هذه التكريعة، وقال لها أحد الأطباء إن هذا بسبب «فتاق» بالحجاب الحاجز، ويجب إجراء جراحة، وحدث ولكن ظل العرض كما هو، وذهبت لطبيب آخر ففتح البطن ليستكشف ولم يجد سبباً واضحاً وقام بتحويلها إلى طبيب مسالك بولية، وأجريت تحليلات صعبة بالصبغة، ووجد أن كليتها سليمة، فذهبت بعد ذلك إلى أخصائى القناة الهضمية، ولم يحدث تقدم، وبعد سلسلة أخرى من الترحال بين عيادات الأطباء أكتشف أحد الأطباء المشكلة وشخص المرأة تشخيصاً سليماً، بعد أن علم أن زوج السيدة المسكينة ينتمى إلى قطاع المتسلطين، فهو لايسمح لها إلا بالإجابة عن الأسئلة المغلقة، وهى تلك الأسئلة التى تتطلب الإجابة بنعم أو لافقط، فمن المستحيل لها أن تعبر عن رأيها أو تزيد فى إجاباتها عن «نعم» أو «لا» ولقد سبب لها هذا الأسلوب حالة من الكبت، ظهرت فى شكل «التكريعة» التى كانت تعانى منها، وكان العلاج الجذرى من خلال إجراء حوار ثنائى مع الزوج فى جلسة علاجية، وفيها سأل الطبيب «أيهما أحسن أن تعطى لزوجتك المساحة الصحية من الرأى والنقاش، أم تظل هكذا تدور على العيادات والمستشفيات وتراها تتألم وتذبل أمامك؟ واقتنع الرجل وشفيت الزوجة ولعل هذا الحوار يجسد من ناحية علاج لحالة من حالات التسلط التى نتجت عن التكريعة، ويجسد أيضاً الفرق بين الطبيب المتسلط الذى ينشغل بأجندة ضيقة فى التشخيص ولايستطلع الزوايا المختلفة للحالة، والطبيب الناجح غير المتسلط الذى استطاع أن يشخص الحالة كما ينبغى، وأن يعالج المرأة العلاج المطلوب.

إفلاس الحضارة الغربية ؟!

فى هذا الجو الذى عشته من خلال قراءة مواد الملف الخاصة بهذا الموضوع، أستيقظ فى أحد الأيام، وأطالع مقالة بعنوان «إفلاس الحضارة الغربية» فى إحدى الصحف، وهنا تتزاحم إلى ذاكرتى مشاهد العيادات والمستشفيات فى هذا «الغرب المفلس»، والذى لايملك البعض إلا أن يصفوه بهذه الصفة التى تطرح السؤال «من هو المفلس حقاً» ؟ لماذا يصر البعض على إبخاس الناس أشياءهم؟ وهو الأمر الذى نهينا عن القيام به طبقاً لتعاليم الدين الحنيف.

فعندما تدخل العيادة فى هذا « الغرب المفلس»، يستقبلك مساعد أو مساعدة الطبيب ويقوم بإجراء مقابلة معك يدون أو تدون من خلالها إجابتك عن أسئلة عديدة على غرار: هل عندك هذا؟ هل تشعر بـ؟ هل الوالدة أو الوالد يعانى من مرض ما؟ أو.. أوعشرات الأسئلة الأساسية اللازمة للتشخيص السليم، ثم تدخل الممرضة أو المساعد بإجاباتك هذه للطبيب؛ فيأخذ عدة دقائق يقرأها قبل أن تدخل له، فإذا دخلت كان الحوار ثنائياً، وبعيداً عن أى ملمح من ملامح التسلط عادة، ويدون نتائج هذا الحوار فى ملف خاص بك ليستخدم فى المستقبل.

التسلط وإدارة الوقت

للتسلط علاقة بإدارة الوقت والعكس فالمتسلط لايعبأ بوقتك نهائياً.. وهنا نذكر دراسة قامت بها الجمعية الطبية الأمريكية فى كولومبيا، والتى تخدم نحو أربعين ألف مريض بدراسة الوقت الذى يقضيه المريض فى عيادات الجمعية، فاكتشفت أنه يتراوح بين عشر إلى عشرين دقيقة، ووجدت أن انتظار المريض إذا طال عن هذه المدة، فإن التقصير سيكون من جانب أطباء الجمعية، وهكذا رأت من واجب الجمعية تعويض المرضى الذين ينتظرون أكثر من هذه المدة، وقد أعدت الجمعية إيصالات كل منها بخمسة دولارات، تعطى للمريض عن كل دقيقة يقضيها بعد العشرين دقيقة المحددة، وللمريض الحق بأن يستخدم هذه الإيصالات فى شراء الأدوية أو الأدوات الصحية.

كذلك تم توقيع خصومات على الأطباء المتهاونين فى أداء عملهم؛ طبقاً للمعايير التى وضعتها الجمعية ولقد صرح د. وليام جاكوب رئيس الجمعية أن خدمة المرضى قد تحسنت بعد هذه الإجراءات.

هذا هو مايتم العمل به فى «الغرب المفلس»!! لايسعنى هنا إلا أن أذكر ماذكره شيخ الأزهر فى حديث له مؤخراً حيث قال بيت الشعر الشهير:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

(حسن وجيه ـ البيان ٩٤/٧/٧)

وماذا عن قنوات الحوار فى واقعنا ؟!

بعد أن قدمنا فى سياقات (الهياكل المولدة للتسلط) ملامح خريطة الاشتباكات الخاطئة فى واقعنا الثقافى، وكذلك بعد أن أشرنا إلى عديد من الظواهر التفاوضية من

منظورى العالمية والخصوصية الثقافية، يهمنا أن نشير هنا إلى عنصر مهم ورئيسى، يعتبر من أهم مستلزمات وضروريات التفاوض وهو الخاص بكل مايتعلق بقنوات الحوار ـ أو بمعنى آخر ـ الإطار العام والمناخ العام الذى ينبغى العمل على تأسيسه وإيجاده لممارسة أنشطة ثقافة التفاوض، التى تحتاج إلى حد أدنى من المستوى لذلك الملعب الذى تقام عليه مباريات التفاوض الإيجابى.

وهناك أبجديات خاصة بالإطار العام والمناخ العام أو مانطلق عليه القناة التى يمارس فى إطارها الحوار، والتى ينبغى أن نرسخها من أجل ممارسة الحوار وأهمها ـ بعد أن نعى مستلزمات ثقافة التفاوض والحوار التقنية وتجنب الظواهر السلبية، التى أشرت إليها فى السياقات السابقة ـ هو أن نتخطى مرحلة الحوار من طرف واحد، وأن يكون الحوار للأطراف المختلفة المعنية؛ والعمل على توسيع المشاركة وعلاج ماأسماه د. سعد الدين إبراهيم بتصلب شرايين المشاركة فى صناعة القرارات، وهذا يستلزم أن يكون الحوار ذا آلية فوقية تحتية وتحتية فوقية، قبل الوصول إلى القرارات.. خاصة المصيرية منها.

وهنا استحضر تلك المقولة اليابانية لأحد العاملين فى الشركات اليابانية الكبرى، والذى تجده يقول أنا أعمل لشركة تويوتا، عند سؤاله السؤال التقليدى ماذا تعمل؟

وهذا مثال عكس لما يقوله الأمريكيون عادة، عندما تسألهم نفس السؤال فتجدهم يقولون ماهو أكثر تحديداً مثل أنا مهندس فى شركة كذا، أو أنا عامل نسيج أو فنى أو مساعد مهندس إلكترونيات.. إلى آخره.

والسبب فى مقولة اليابانى أنه يشارك فعلياً فى الحوار وفى اتخاذ القرارات الخاصة بشركته.. فالقرار يسبقه حوار وأخذ ورد من القمة إلى القاع والعكس؛ حتى تتم صياغته، ومن ثم تجد اليابانى يشعر بانتمائه العالى لشركته، وهو ينتقل فى أكثر من موقع فى شركته، وربما أن هذا الأمر يتم فى سياق انضباط اليابانيين لشروط قياسية للتأكد من جودة عملهم وقوة منافستهم للآخرين فى دول العالم المتقدم، ولكن مايهمنا هنا أن الحوار الفوقى التحتى والعكس من دواعى إقامة حوار إيجابى والوصول إلى قرار سليم.. وهذا الأمر يخلق قناة أو مناخاً حوارياً، يتسم ومتطلبات ثقافة التفاوض، فما يحدث فى كثير من تفاعلاتنا لايزال يعبر عن قرارات فوقية أساساً، تنزل على رقاب العباد.. تصور أن تكون مثلاً استاذاً وتجد رئيس الجامعة يصدر بياناً لايعبر عن وجهة نظره، بل يقول فيه إن الأساتذة يوافقون على هذا الأمر بالإجماع؛ خاصة وإذا كان هذا الأمر يتعلق بالحريات الأساسية للرفض أو الإيجاب، أو أن يصدر قراراً مثلاً بتغيير الجداول فى نصف العام الدراسى؛ بحيث يقوم الأستاذ الجامعى بتدريس ٣٦ ساعة مثلاً فى الأسبوع، بدلاً عن ١٢ ساعة لتغطية عجز ما، وهو النصاب المقبول الذى

يسمح للأستاذ الجامعى بمتابعة أبحاثه وأنشطته، التى تمكنه من المشاركة فى صياغة عقل الأمة، وهو أحد واجباته؛ الأمر الذى يمثل خرقاً لكل الأعراف الجامعية، خاصة وإذا كان مثل هذا القرار ملزماً ولايجوز رفضه!... قد يحدث هذا فى وطننا العربى.. وهذا بسبب حركة قناة الحوار ذات الاتجاه الواحد، والتى يهيمن على ساحتها طرف واحد فقط.. ويكون على الطرف الآخر إما الانصياع والاندماج فى مفاهيم الاستلاب التى تسلبك حوقك، فتنفذ دون أن تفتح فمك بكلمة واحدة.. أو تقرر أن تكون متمرداً ثائراً تخوض معركة خاسرة أو قد تنجح فى مثل هذه المعركة غير المتكافئة بعد أن تكون قد دفعت كثيراً فى سبيل نجاحك فيها، ولكنك تكون الخاسر الأكبر فى إدارتك لوقتك الثمين، والحل الثالث الذى يتسبب فيه طغيان طرف واحد وفوقى عليك فى الحوار فى حالة هذا المثال التوضيحى، هو أن تندمج ثقافة الصمت السلبى والتحايل على أمر تنفيذ مثل هذا القرار بطريقة أو بأخرى، وتكون بذلك مشاركاً فى الثقافة الهروبية ذات المصلحة الفردية، والتى تؤدى إلى تقويض ركائز المجتمع والعمل بروح الفريق الواحد فى نهاية المطاف.. إن ماسقته هو مجرد مثال واحد من عشرات الأمثلة المختلفة والمتعددة، التى نجدها صارخة فى عديد من تفاعلاتنا.. التى ماكان لها وأن تحدث أو أنها لن تحدث إذا ماعملنا على ترسيخ أمر التفاعل المتقدم والدائرى، ذى الاتجاهات الفوقية التحتية والعكس، مع التزام كافة أطراف الحوار بضوابط الحوار لبناء للجميع، والتخلى عن الافتراضات الاستاتيكية الخاطئة لصالح حل مشاكلنا، والسعى نحو التقدم الحقيقى.

ولابد أن تواكب هذه الحركة ثورة على البيروقراطية العقيمة، وإعادة النظر فى هذا الحجم الهائل من القرارات والقوانين التى لاتتناسب، وتحقيق أى تطور اجتماعى فى أى اتجاه، بمعنى أن هذا الحجم الهائل من القرارات والقوانين لابد وأن يحد منها، وتعاد صياغتها فى شكل مجموعة من القوانين، التى تبنى على وحدة من الأساس الفكرى والسياسى والعقائدى للمجتمع، بما يتناسب ومعطيات ثقافة التفاوض المختلفة، التى أشرنا إليها فى سياقات عديدة (حسن وجيه ـ البيان ٣ ـ ٤ ـ ٩٤)

أدوات التسلط الخفية فى حوارات الواقع الثقافى العربى:

أمثلة توظيف الأسئلة فى الحوار

من السهل عادة أن نقول إن فلاناً متسلطاً إذا ما استخدم أدوات التسلط الواضحة فى الحوار، مثل أن يظهر فلان أنه الرئيس فى العمل أو الأب فى المنزل، وأن كلامه لابد وأن يكون نافذاً من غير نقاش، أو أن تحمل مقولاته مفردات الإطلاقية فى مناحى العقيدة أو ما إلى ذلك من أدوات واضحة، لايخفق معها المستمع فى وصف محدثه بالتسلط إذا ما استخدمها.. ولكن الخطير فعلاً هو استخدام أدوات التسلط الخفية أو غير المباشرة فى الحوار.. لأنها قد تمكن مستخدمها من إخفاء تسلطه، والظهور بشكل الإنسان العقلانى البعيد عن التسلط فى عملية تبادل الحجج بخصوص موضوع خلافى

ما.. وهناك لابد أولاً أن نوضح الفرق بين السلطة والتسلط؛ فالسلطة ليس معنى بها السلطة السياسية على وجه التحديد هنا.. ولكن المقصود وكما أوضحت سابقاً هو سلطة العلم والمعرفة مثلاً أو سلطة الوضع الاجتماعى فى سياق ما.. أى إنه عندما يكون المتحدث فى مجال خلافى أو جدلى هو أستاذ اقتصاد من المشهود لهم، فهذا يعطيه وضعاً خاصاً، وهو سلطة التخصص التى تنعكس فى حواره، وكذلك عندما يتحدث أستاذ لطالب أو محقق مع متهم، أو حتى مذيع مع ضيفه.. فكل هذه الأطراف يعطيها عرف المجتمع وتركيبته المتفق عليها سلطة السياق.. وبالتالى تكون لها سلطة أكبر فى تحديد شكل وتوجه الحوار، بل وفرض الموضوعات التى تراها كل هذه الأطراف الأولى.. ولكن إذا جاءت مثل هذه الأطراف عن التوظيف المعقول والمعرف به من قبل المجتمع، أصبحت إذناً ممارسة للتسلط.. وبحكم أننى أتناول تحليل الحوار من واقعه دائماً، فإننى أود أن أتعرض لبعض أدوات وظواهر التسلط، التى قد لانشعر بها جميعاً من خلال حوارات حقيقية تدور فى المجتمع، سواء على مستوى الحوار اليومى العادى أو فى صحفنا وأحدد هنا مايلى من هذه الأدوات:

١ ـ «مدفعية» طرح الأسئلة أو الموضوعات أو «وابل أسئلة الأستجواب النيرانى»

ROPIDFIVE

INTRROGATION

من الظواهر التسلطية الحادة فى حواراتنا هو أن يقوم متحاور متسلط، وفور ظهور طرف آخر يجيد الاقناع، وله منطق قوى فى حجته يتفق مع أصول وقواعد إقامة الحجج ومع الرجاحة والعقل السليم.. بإغراق هذا الطرف فى خضم أسئلة بعيدة عن الموضوع الرئيسى، الذى أحسن الطرف الآخر عرض موقفه ومنطقه فيه، فالإنسان غير تكون عنده القدرة دائماً على الانصياع للحجة الاقوى والإجابة عن السؤال المستلط المنطقى والأمثلة، والذى تفرضه وقائع الأحداث، والذى عادة مايكون فى صالح أطراف الحوار من الأسوياء أن يتناولوه بالإجابة، التى تؤدى إلى الحق والعدل. (والشخص السوى يقبل الحق والعدل وينصاع إليه.. أما الشخص المتسلط فهو عادة مكابر إلا وجهة نظره هو فقط، ويريد الجميع أن يقولوا «آمين» ويوافقوه ولأجل آخر غيرالموافقة: إن لم يكن يزيد كلاً من الموافقة والمديح والنفاق على رجاحة عقلة وفطنته، التى لم ترد من قبل أو من بعد.. هذه الشخصية المتسلطة تتعامل مع الآخرين، الذين تكون لهم الحجة القوية والمنطق السديد بفتح نيران مدفعية الموضوعات والأسئلة المتعددة المتدفقة، التى يكون الهدف منها تغطية وإغلاق الحوار فى ذلك الموضوع، الذى ساقه بعلمية ومنطق الطرف الآخر.. وإغراقه فى خضم أسئلة موضوعات أخرى عديدة، مع الإدعاء بأنها هى الأصل، وهى صلب الخلاف..)

وبشأن إقامة الحجج والحجج المصادرة بمكننا أن نستعرض عشرات الأمثلة التى تجسد إستراتيجية توظيف «مدفعية طرح الأسئلة والموضوعات» كأسلوب من أساليب

الحوار التسلطى. ولكن مثلما الأمر فى الحجج فإن إثارة أسئلة بعينها قد تعكس فى الإجابة عنها ظاهرة «مدفعية طرح الموضوعات»؛ حيث يتم تجنب الإجابة عن السؤال الرئيسى، من خلال مظلة كثيفة من «مدفعية طرح الأسئلة، التى من شأنها تجنب الإجابة عن السؤال الرئيسى.. ولعلى هنا أتعرض لكثير من الأمثلة الموجودة فى مساحة تفاعلاتنا، ولكننى أفضل التركيز على مثال حديث جداً وهو من خلال:

سؤال بلا جواب عن زعيم رحل..

وأود هنا وأنا بصدد طرح هذا الحوار الحديث (القديم) الذى يدور من وقت إلى آخر فى ساحة تفاعلاتنا الثقافية، بخصوص زعمائنا الراحلين أمثال الزعيم عبد الناصر أو الزعيم أنور السادات رحمهما الله..

أود أن أقول إننى لست ـ وفى سياق هذا المقال ـ بصدد تقييم فترة حكمهم، ولكننى أود أن أركز الحديث عن لقطة توقفت أمامها كثيراً تجسد إستراتيجية «مدفعية طرح الأسئلة أو الموضوعات». فلقد أورد الاستاذ صلاح منتصر فى عموده اليومى بتاريخ ١٩٩٥/١٠/٣، بعنوان: «سؤال عبد الناصر» سؤالاً طرحته «صحفية بالأهرام» من مواليد ١٩٧٧؛ حيث وجهت للحاضرين فى ندوة من محبى عبد الناصر، أقاموها فى ذكرى وفاته، وكان السؤال: ماذا تعتقدون فى الرأى القائل بأن المكاسب التى حققها هذا الزعيم قد ضاعت لأنه علمكم أن تقولوا «نعم» ودائماً وكانت كلمة «لا» من الممنوعات.. فعندما جاء آخرون بعد موته، وانتزعوا منكم هذه المكاسب لم تكن لكم القدرة على أن تقولوا «لا».. صلاح أن هنا حدث هرج ومرج، وانتهت لندوة دون الإجابة عن هذا السؤال، الذى وأفاداً. اعتبر بمثابة سؤال استفزازى، إن لم يكن وقحاً وخلص أ. صلاح إلى أن رفض الإجابة عن السؤال يؤكد أن دراويش عبد الناصر قد تجمدوا فكرياً.. ولكن فى يوم ٩٥/١٠/٥ تم استئناف الحوار من قبل أ. أحمد حمروش بمقال بعنوان «جواب لسؤالى عن عبد الناصر»

وحيث إن السؤال الذى تم طرحه فى عمود الاستاذ صلاح هو سؤالٌ جوهرى يتطلب الإجابة الفعلية وبموضوعية.. فإننى سارعت بقراءة مقال أ. حمروش لأستمع منه إلى الإجابة الفعلية (وهو رقم ١٤ بالقائمة) ولكننى ومع الاحترام لشخص الكاتب إلا أننى وجدته يوظف إستراتيجية «مدفعية طرح الأسئلة والموضوعات».. وهنا تجنب أ.حمروش إفادة القارىء أو المستمع للحوار عن السؤال الذى ادعى الإجابة عنه، فى عنوان مقاله: «جواب لسؤال عن عبد الناصر»..

السؤال واضح، ولكن تعالوا نرى ملامح «مدفعية طرح الموضوعات التى جاءت فى شكل سؤال استهجانى للهروب من الإجابة، وهذه الموضوعات بترتيبها فى تحليل المقال كالآتى:

١ ـ خطأ أ. صلاح فى الوقوع فى أخطاء ما كان أن يقع فيها.. حيث أنه ابتعد فى هذا العمود عن الموضوعية التى يتسم بها.

٢ ـ إن الندوة لم يقمها «محبو عبد الناصر».. بل هذ اللجنة المصرية للتضامن مع إعطاء تفصيلات عن كيان هذه اللجنة وأعضائها المشاهير، الذين يعبرون عن تيارات الأمة منذ ١٩٥٧.

٣ ـ إن الصحفية التى عرف أ. صلاح عمرها، وأنها لجأت إليه بعد فشل الندوة فى الإجابة عن سؤالها هو قول ناقص ومبتسر.

٤ ـ إن الحاضرين من العرب والأجانب والمصريين قد اعترضوا على سؤال الصحفية إلا أن د. هدى عبد الناصر طالبت بسماع الرد على تساؤل الصحفية.. وأن د. حسام عيس تولى الرد وانتهت القضية (دون ذكر أى إجابات).

٥ ـ إن هذه الصحفية ليست محررة «بالأهرام».. ولسنا نعرف إذا ما كانت عضواً فى نقابة الصحفيين أم لا..

٦ ـ إن أ. صلاح لم يستشر أياً من أعضاء اللجنة بخصوص أحداث الندوة ليتحرى الدقة.

٧ ـ إنه ما كان له أن يقول: «أنا أرفض الإجابة عن سؤال بسيط لفتاة صغيرة يؤكد أن «دراويش عبد الناصر قد تجمدوا فكرياً».

٨ ـ الاكتفاء فى نهاية المقال بتذكرة أ. صلاح بالكلمات التى أرسلها سيادة الرئيسى حسنى مبارك فى افتتاح الندوة؛ ليقتنع بأن الحديث عن التاريخ يجب أن يرتفع عن التعصب! والسطحية والمبالغة..

٩ ـ فى النهاية تضمن المقال تنو بأن أ. صلاح كان عليه أن يتخذ نحواً آخر، وأن يحسن نقد عمل اللجنة بدلاً من اللجوء إلى هذا الأسلوب الذى ماأظن أنه يرضى عنه...»

نحن وبعد تحليل لمسار الموضوعات، التى وردت بمقال أ. حمروش، أجد أن السؤال الذى طرحته الصحفية المزيفة أو الأستاذ صلاح «الذى لم يكن موفقاً ـ حسب تقييم أ. حمروش ـ لم تتم الإجابة عنه.. فالشعوب التى تستفاد من دروس التاريخ بالتحليل الموضوعى، كما أفادت رسالة الرئيس حسنى مبارك لأعضاء لجنة التضامن، تحتم أن نهتم بأولويات الطرح.. أى حين يكون الموضوع «سؤال عن عبد الناصر»، وكان السؤال واضحاً فى مقال أ. صلاح منتصر، وأحسب أنه سؤال فى غاية الأهمية، وينبغى أن نجيب عليه نعرف. الإجابات المختلفة حوله لنستفيد من هذه الإجابات فى حاضرنا

ومستقبلنا، وحتى لاتتكرر أخطاء زعمائنا الذين هم بشر مثلنا يصيبون ويخطئون.. كان للأستاذ حمروش فى مقالة بعنوان «جواب لسؤال عبد الناصر» ألا يوظف أسلوب «مدفعية طرح الموضوعات (الأسئلة) التى من شأنها إدانة أ. صلاح وتوضيح الموقف السامى والأخلاقى للجنة والقوة التى تستمدها من كيان اعضائها البارزين جداً، وينتهى إلى تنبيه بألا يقع فيما وقع فيه، دون أن تكون هناك أى محاولة للإجابة عن السؤال الرئيسى وجوهر الموضوع!!

التعمد من عدمه فى استخدام «مدفعية طرح الموضوعات»

إن مشكلة التفاعل القائمة فى واقع حواراتنا بخصوص كافة ظواهر الحوار أنك قد لاتعرف ـ وعلى وجه الدقة ـ إذا ما كان هذا المتحاور يوظف أدوات أو ظاهرة الحوار الفلانية عن عمد أو بطريقة لاشعورية.. وبخصوص «مدفعية طرح الموضوعات والأسئلة»، فلقد وجدت فى أحيان كثيرة أن المتحاور لايوظفها عن عمد، ولكنها أصبحت ـ ومن كثرة هيمنة أدوات التسلط فى الحوار ـ تمارس من قبل البعض بشكل لاشعورى، وهنا تكمن المشكلة.. ولكن هذا البعد يمكن علاجه.

الشخص المتسلط فى ذلك لأن مبدأ التعاون الضرورى لإنجاح الحوار، يكون قد تم العصف به... ولعل مانراه فى برامج تليفزيونية يؤكد ذلك حينما يحاول أحد المذيعين إلقاء سؤال يحمل فى مفرداته الإجابة المرجوة، وإذا كانت إجابتك مخالفة يحذف المشهد برمته. وفى هذا الإطار تأتى أيضاً مقال الكاتب أحمد بهجت بعنوان السؤال الجائر حيث يذكر مشاهد من انتخابات كيم أيل سونج التى انتهت بفوزه بنسبة ١٠٠٪ أو انتخابات حاكم العراق التى أنتهت بنفس النتيجة، وكأن السؤال المطروح فى إطارها ليس هل تنتخب فلاناً أم لا.. بل هل تريد الحياة أم لا ولكن بشكل مغلف.

٢ ـ إستراتيجيـــة أسئلـة ترسيخ القائم:

من أدوات التسلط الشائعة فى حوارتنا الإسراع بتوظيف أدوات الحوار الخاصة بترسيخ ماهو قائم فى مجال أو ممارسات معينة بمجرد محاولة تغييرها، أو حتى بمجرد اشتمام رائحة إثارة الأسئلة بإمكانية وأهمية تغييرها.. ففى حالات التفاوض الاجتمعى، إذا ماقلت مثلاً: ما لزوم هذا البذخ والموسيقى الصاخبة التى تطيح بأجهزة مكبرات الصوت «الأَمْبِلْفَيَر»، التى أصبحت عرفاً وتقليداً مستمراً فى الأفراح بفنادقنا الكبرى.. وحاولت أن تطلب خفض الصوت؛ حتى تكون الموسيقى مسموعة بشكل يجعلك تستمتع بها ولاتنزعج إذا كنت تتمتع بالصحة، ولاتصاب بأذى إذا كنت ممن يعانون من أمراض القلب أو السمع.. تجد الذين «يرسخون القائم» ينقضوا على طلبك بالإجابة ده فرح.. والفرح كده.. وكل مناسبة وحضرتك طيب.. وإذا كان المتحدث من نفس هذا النوع من الأقرباء لديك تجده مثير سؤال آخر يتحداك به يقول: «أنت حتغير الكون؟! هل نويت العكننة؟.. أما إذا كان الحوار عن كنترول الجامعات،

كموضوع من موضوعات التفاوض الإدارى المهمة التى ينبغى معالجتها لما لها من آثار سيئة للغاية على تحقيق التقدم فى المجال الأكاديمى الحيوى واللازم لقادة عملية التنمية.. فإذا ماشقت سلبيات هذا النظام الراهن الذى يعتبر أكبر عوائق تطوير التعليم وأبسط الأسباب أنه كنظام يبدو أكثر من ٦ أشهر من العام الأكاديمى دون مبالغة.. وأنه أنشىء عام ١٩٢٥ ولايصلح مطلقاً لأسباب كثيرة، سقنا التفصيلات الخاصة بها فى بحث علمى مفصل[٣٠].. نحد من يرسخون القائم.. لايطلعون على هذا البحث أو يقيمون الممارسة بموضوعية، بل يبادرون بشن هجوم مضاد.. راجع مثالاً على ذلك مقال بالأهرام تجسد أفكاره ظاهرة أخرى، وهى:[٣١]

٣ ـ إستراتيجية أسئلة اختزال الحقائق:

هنا يقوم المتحدث باختزال الحقائق وقصرها على مالا ينطبق عليها، وعادة مايحاول جذب أراء الآخرين الذين لم يلاحظوا حقيقة الأمور، أو يريدون غض الطرف عنها.. كأن يقول لك.. وما هذا الذى تقيم الدنيا وتقعدها عليه؟.. إن نظام الكنترول القائم مجرد عملية إدارية ـ مجرد إدارة للامتحانات مثله فى ذلك مثل المرافق والميزانيات ما إلى ذلك.. فما هذه الجلبة؟!

وهنا يختزل هذا المتحاور حقيقة أن نظام الكنترول القائم يمثل وعاء تتلاقى فيه قضايا عديدة، مثل تقييم الطالب وأداء الأستاذ والمنهج والعملية الإدارية بين الأستاذ والإداريين، وعملية إدارة الوقت فى السياق الأكاديمى.. يتجاهل كل ذلك ويختزل مفهوم كنترول على أنه مجرد عملية إدارية لاصلة لها بالبنية المركزية للتعليم الجامعى؟!

٤ ـ استراتيجية أسئلة الشك الصحى الزائف:

هذه الإستراتيجية أكثر أدوات التسلط إختفاءً فى الحوار.. حيث يحاول المتحاور المتسلط إظهار قدرته على تفنيد الحجج بغية الوصول للحقيقة، وحتى الانصياع لوجهة نظر قد تكون صحيحة، وذلك من خلال ما يعرف فى عناصر الحجج بإلقاء الشك الصحى Healthy doubt, وهذا عادة ما يتضمن أن يتشكك المحاور فى صحة منطلقاته وحججه وصحة أسئلته بغية فى التواضع وعدم التسلط؛ وصولاً للرأى الأصوب. ولكن هناك البعض الذين يجيدون ما أسميه «بإثارة سؤال الشك الصحى الزائف».. أى يظهرون شكلاً من أشكال الشك الصحى فى قوله مايتعارض مع عنصر من وجهة نظرهم، التى أعلنوا عنها بحيث يكون هذا العنصر «كبش فداء»؛ أى يمكنهم التضحية به والتراجع عنه بشكل افتراضى على سبيل إبعاد شبهة التسلط عن تناولهم، ولكنهم سرعان مايوظفون هذا الأسلوب بشكل تكتيكى فقط يساعدهم على ترك إيحاءات وهمية لمن يشهد أو يستمع للحوار، ولكن بهدف التأكيد على عموم توجههم وجوهر وجهة نظرهم، التى لايتخلون عنها، بل يسعون لإثبات صحتها مهما جاء من أدلة ومعلومات تجعلها باهتة وضعيفة..

ولتوضيح ذلك أعود للقارىء بمثال حى من واقع التفاعلات.. فحينما اقترحت طرح فكر وثقافة التفاوض الإيجابى من خلال مادة، تطرح على طلاب المراحل المختلفة، وذكرت أنها تحتاج إلى أرضية معينة تنمو فيها وهذه الأرضية التى يقيم عليها صرح كنترول الجامعات الأم لاتصلح لنمو هذه الثقافة، وذلك ببساطة لأن كنترول الجامعات والتفاعلات التى يخرجها وتحدد أطراً عديدة للسياقات التركيبية للتفاعل، تؤكد على الشمولية والتسلط والتلقين.. تجد هذا المتحاور الذى انبرى للتصدى والدفاع عن نظام الكنترول يوظف أداة «الشك الصحى الزائف» (وربما بشكل لاشعورى) كنقطة انطلاق لمزيد من التأطير والاختزال؛ حيث تجده يتساءل (على سبيل الشك الصحى «الزائف») وبشكل من تهكم الاحتواء «وإذا أخذنا بصحة القول بأن هذا الكنترول «غول»، ثم ينتقل إلى طرح أسئلة تهكمية ما تعكس عقلية التسلط؛ حيث يمرح ذلك المتحاور متسائلاً..» وهل سيكون لهذه المادة كنترول ومكانة خاصة؟! وهل تعتبر الدواء الشافى لكل معضلات البنية المركزية؟!.. حتى إن سيادته يقول فى نهاية مقاله: «وكيف لسيادتكم أن تتصور وببساطة أن مجرد إضافة مادة جديدة، كفيل بتطهير تلك البنية المركزية من كل أعطالها؟!»

وهنا نلاحظ أن هذا المتحاور يحاول تأطير فكر المتحاور الآخر، الذى يقترح «مادة ثقافة التفاوض» بالتبسيط المخل، الذى يتناقض وروح العلم الرصين!!

٥ ـ استراتيجية أسئلة التأطير المتعسف

Hasty framing

من أكثر أدوات التسلط شيوعاً هو تأطير مقولات الطرف الآخر، كما حدث فى آخر فقرة بالمثال أعلاه، ولكن الخطورة الحقيقية فى واقعنا تكمن فى استخدام أداة تأطير الأشخاص، وهذا يتجسد فى مقولة محاورنا السيد عميد كلية التربية النوعية، الذى يقول فى تفنيده للانتقادات التى أوجهها إلى صرح كنترول الجامعات الراهن، الذى تم ترسيخه منذ عام ١٩٢٥ فى جامعاتنا.. يقول سيادته شيئاً خطيراً لم أذهب إليه، وذلك من خلال سؤاله القائل: «لماذا تتصور بنية التعليم المركزية والعاملين فيها عملاء ترسيخ وتمسك منقطع النظير بتلك الأفكار السلبية، التى ترى أن النظام التعليمى قائم عليها؟!»

وطبعاً أنا لم أتعرض للأشخاص فهذا السؤال من شأنه التحريض وتعبئة آخرين، ليس فقط ضد مايقترح، بل ضد الشخص المقترح ذاته.. فهذا سؤال تسلطى خطير ومن الطريف أننى لم أستخدم كلمة «عملاء» التى أوردها هذا المتحاور.. ومن الأطرف أننا نلاحظ تشبع سيادته بتوظيف هذا التعبير، الذى تشبع به كثيرون من خلال بعض النظم الشمولية / الديكتاتورية العربية التقليدية، والتى تجاوزناها فى كثير من البلدان العربية اليوم. ومن الطريف أن مثل هذه النظم الشمولية التقليدية قد أثرت إلى اليوم على

استخدام الحوار من قبل كثيرين، ممن لايريدون أن يتخلصوا منها إلى اليوم.. فتعبير «عملاء» هذا من أسهل التعبيرات التى كانت ولاتزال تستخدم لتأطير الخصوم والمخالفين فى الرأى، تمهيداً للانقضاض عليهم «وتصفيتهم».. كذلك فإن القارىء المتنبه لتأطير آخر غير عادل.. وهو بأننى أصف «كل العاملين» الذين أكن لهم كل الأحترام والتقدير بأنهم «عملاء»!![٣٢].

كان ماسبق إشارة مستفيضة لعلاقة الأسئلة على وجه الخصوص بفعل القول الخاص بمفهوم التسلط وسماته وأدواته الخفية.

لاشك أن هناك عديداً من الأمثلة التى تجسد فكر التسلط وممارسته وآلياته فى الواقع الغربى، وهو ماأشرنا إليه أننا.. ومن بين مايهمنا التركيز عليه هنا هو ذلك الخلط، الذى أصبحت وسائل الإعلام الغربية نقوم بترديف كلمات «عربى» «مسلم» «إرهابى» و«أصولى».

وفى الواقع فإن كلمة «أصولى» و«أصوليات» قد ألحق بها عديد من المفاهيم السلبية، التى لاينبغى وأن تكون؛ فكلمة الأصولية تعود للأصول.. وهناك أصول دينية Fundamantals of Religion كأى أصول مثل «أصول علم الهندسة» أو علم الأحياء وخلافه.. وعندنا فى أزهر مصر الشريف توجد لدينا «كلية أصول الدين»، وفى الحوار الاجتماعى نجد أن من أكثر التعبيرات المعيارية الشائعة هى أن «فلان يفهم فى الأصول»، أو «أنه لايفهم أو يراعى الأصول»..

وسوف أسوق فى سياقنا هذا بعض الأمثلة، ذات العلاقة بمفهوم التسلط من واقع ملفات الحوار العربى الأوروبى / المتوسط.

قل «متوسطياً» ولا تقل «عربياً»

قابلت أحد المسئولين البريطانيين لتعرف وجهة نظر إنجلترا فى «الحوار العربى الأوروبى»، وفوجئت به يقول من الأفضل أن نستخدم تعبير «الحوار الأوروبى المتوسط».. فتعبير «الحوار العربى الأوروبى» لاوجود له، فضلاً عن أنه فشل، وأنه تعبير يثير الأحزان وعدم الرضا من قبل الأوروبيين.. وبالفعل فإن كل الحوارات المشاركة مع أوروبا لم يتردد من خلالها تعبير الحوار العربى الأوروبى، الذى بدأ عام ١٩٧٣ عقب حرب أكتوبر رمضان المجيدة. وبالطبع فإن الإصرار على أن يكون الحوار أوروبياً متوسطياً فيه كثير من لغة الفرض والهيمنة وتحديد الأجندة بمافيها العنوان، حتى وإن كان الحوار فى جوهره لايزال شاء ذلك أم أبى أى طرف ـ هو حوار عربى أوروبى فى المقام الأول ـ وإذا كان لتعبير حوار عربى متوسطى أن يعنى إدراج دول مثل إسرائيل وتركيا وإيران فى الحوار، فهذا لايمثل مشكلة لنا، طالما أن الهدف هو البناء والعمل الجماعى من أجل السلام والاستقرار والتنمية ولكن أن تكون أجندة تسمية الحوار للإجهاض

على النظام العربى وإلغائه، فهذا مايمثل تجسيداً واضحاً لممارسة التسلط وأدواته فى الحوار.

«المنولوج» وليس «الديالوج»

إن تعبير «المنولوج» عادة مايثار فيما يتعلق بخصوص تفاعلاتنا العربية، التى ينتقدها الأوروبيون حينما يقول البعض (ومن واقع تفاعلات الحوار العربى الأوروبى) إن المشكلة فى التواصل مع العرب أن الحوار «الديالوج» يصبح عادة «منولوج»، أى حوار من جانب واحد والمهم هنا ألا نتجاهل هذا الوصف، بل علينا أن نعمل على تغييره، فالحقيقة أن التواصل بيننا كعرب بحاجة إلى ثورة فى المفاهيم والأسس والمنطلقات، لصالح هذه الأمة ولصالح تكتل عربى (يقاوم نظرية التنقيب بكل أشكالها..). كذلك فإن شق التفاوض الآخر فى إطار البعد الثقافى، هو أن هناك البعض على الجانب الآخر ممن يمارسون أسلوب «المونولوج»، وهو ليس صفة عربية فقط، ولعلنا بحاجة إلى وقت لإزالة روح «المونولوج» على الجانبين وبشكل عقلانى وعلمى ولعل من أهم ملامح «المنولوج» (التسلطى) الأوروبى، هو ذلك النمط الذى أسميه «نمط الحوار»-الاسلام ونحن:

ونمط هذا الحوار مشتق من عديد من المقالات والمقولات فى الأعلام الغربى، الذى يؤكد «نظريات» هانتجتون وأمثاله بطريقة أو بأخرى، باعتبار أن الإسلام هو العدو الأخضر (Green periL) ، وبالتالى وجب تشويه عن عمد أو عن غير عمد بجهالة حتى يكون مصدراً لاستنفار العداء، وعلى سبيل المثال لا الحصر كتب جون مونرو مقالاً حديثاً فى مجلة الميدل تايمز بعنوان Islam&us (٣٣)، وتحت هذا العنوان مارس هذا الخلط المتعمد بين «الإرهاب» و«الأصولية» و«الإسلام»، بل إنه يؤيد تشجيع أمثال سلمان رشدى لأنه يعتبره الجزىء، الذى يمثل خط الدفاع الأول ضد «الأصولية الإسلامية»!!؟

إن هذا التصور وتصوراً آخر كالذى طرحه الفيلسوف الفرنسى أرنست رينان من التصورات الكفيلة بتأجيج الصراع على محور البعد الثقافى ـ فلقد قال رينان وبوضوح تام «إن الإسلام هو ماتتفاوض عليه أوروبا.. فالإسلام هو التعصب، وهو احتقار العلم وهو تهديد للمجتمع المتحضر.. وهو التعبير عن التبسيط المفرط للعقل الشرقى، وبالتالى فإن المستقبل لأوروبا التى عليها أن تنشر دينها، وهو قانونها وحريتها واحترامها وحريتها واحترامها للإنسانية!!؟»(٣٤)

إن وجود كل هذه التصورات الزائفة سواء عن جهل أو عمد بخصوص مايتعلق بالبعد الثقافى؛ خاصة فيما يتعلق بصورتنا فى مخيلة كثيرين فى العقل الأوروبى لاتستدعى الإدانة بقدر ماتستدعى العمل الدؤوب واللياقة الذهنية والحركة الفعالة؛ لتصحيح كثير من المفاهيم الخاطئة، وكذلك لوضع أمور هذا البعد على وجه الخصوص فى نصابها، فهذا البعد الثقافى هو الأولى بالرعاية من أطراف التفاوض؛ لأنه

يمثل الإطار المرجعى للبعد الاقتصادى، وهو بحاجة إلى معالجات تواصلية تقنية ومستمرة، ليس فقط بين شمال المتوسط وجنوبه، بل بين الشرق والغرب.. وإن مصر هى الدولة الأكثر تأهيلاً لتأخذ على عاتقها إدارة الاختلافات الثقافية لصالح هذا العالم، وإن لأزهر مصر أن ينطلق إلى آفاق تقنية جديدة، تتناسب وحجم التركيب والتعقيد فى عملية التواصل فى عالم اليوم، وتتناسب ودور الأزهر الشريف على مدى تاريخه الحافل وريادته فى العالم العربى الإسلامى.(٣٥)

التطرف القادم من الخارج وكيف نواجهه!

أما الشق الآخر من الأمثلة التى تنتمى لتفاعلات الواقع الغربى فهو ما أوردته فى المقال التالى بعنوان «التطرف القادم من الخارج»، وكيف نواجهه (الأهرام ١٩/٢/١٩٩٢).

كثر الحديث عن ظاهرة التطرف الدينى، وتناولها المفكرون بالتحليل، واستقر الرأى على أن فتح باب الحوار واستخدام المنطق والحجة والموضوعية فى الحديث من قبل علماء الدين والاجتماع يمثل أفضل الوسائل لاحتواء الآثار السلبية الكبيرة الناتجة عن ممارسة هذا النوع من التطرف، داخل مجتمعنا ومانتمثله هذه الآثار السلبية من تهديد للأسس اللازمة للبناء والتقدم.

فإذا كان لهذا الأمر مايتطلبه من إعداد مناسب، وتحرك واع مدرك لأبعاد الموقف بالكامل كشرط أساسى للنجاح فى مواجهة واحتواء الآثار السلبية للتطرف على المستوى الداخلى.. فإن الأمر يستلزم نوعاً آخر من الإعداد والتحرك إذا مانظرنا إلى ذلك التطرف القادم من الخارج وحجمه الضخم والمتمثل، ليس فقط فى وزارة شامير المتطرفة وممارساتها العدوانية اللاإنسانية الخطرة، بل والمتمثلة أيضاً فى حركة من أسموا أنفسهم «بالمسيحيين الصهاينة» Christian Zionists ، والذين يتزايد عددهم داخل الولايات المتحدة، ويقدر الآن بأكثر من أربعين مليون نسمة، والذين يمثلون فى واقع الأمر وقوداً ضخماً لتطرف شامير وأمثاله.. والمتتبع لممارسات هذه الحركة يجد أنها تنجح يوماً بعد يوم فى تحقيق الأهداف التى وضعتها منذ قيامها، ومن بينها هدم المسجد الأقصى فى نهاية الأمر، وإقامة المعبد اليهودى على بقاياه. ولقد نبه عديد من الكتاب المسيحيين فى الغرب من أمثال جريس هيلسيل، ودونالد واجنر وجودمان سميث إلى خطورة هذه الحركة، وابتعادها كل البعد عن المفاهيم الحقيقية لرسالة المسيح عليه السلام، ونادى هؤلاء الكتاب بنزاهة إلى خلق موقف، يقوض من ممارسات هذه الحركة التى تقدم كل العون لحركة التطرف داخل إسرائيل. إن أعضاء هذه الحركة يؤمنون إيماناً مطلقاً بأن اليهود هو شعب الله المختار الذى منحه الله الأرض المقدسة. وبما أن اليهود هم شعب الله المختار فإن الله سيبارك كل من يبارك اليهود، ويلعن كل من يلعنهم، وبالتالى

فإنهم يؤيدون كافة ممارسات إسرائيل الدموية والإرهابية، ويشجعون إسرائيل على احتلال المنطقة من النيل إلى الفرات؛ أى احتلال خمس دول عربية الأقل من منطق تحقيق النبوءة التى يؤمنون بها.

وكذلك فإنهم يؤيدون أى سياسة أمريكية، من شأنها توريط العالم فى محرقة نووية. وهنا طبقاً لهؤلاء المسيحيين الصهاينة، يعود المسيح عليه السلام إلى الأرض ثانية، وينجو بأعضاء هذه الحركة من الفناء، ويصعد بهم دون غيرهم إلى السماء من أرض الناصرة بفلسطين. إن خطورة هذا الأمر تنبع من العدد الكبير لأعضاء هذه الحركة، وبداية تغلغلهم فى نسيج صناعة القرار الأمريكى بشكل ملحوظ، ومما هو جدير بالذكر إن الرئيس الأمريكى السابق رونالد ريجان قد صرح بإيمانه الشخصى بمبادىء هذه الحركة، وقد أدلى بذلك فى حديث له عام ١٩٧١، وورد بكتاب جريس هيلسيل بعنوان «السياسة والنبوءة والطريق إلى الحرب النووية».. فلا غرو إذاً فى أن أكبر إتفاقية للتعاون العسكرى الاستراتيجى بين الولايات المتحدة وإسرائيل فى عهده، كذلك اتسمت سياسة الولايات المتحدة فى عهده بتبنى سياسات قدتمت العنف فى معالجة عديد من المشاكل الدولية. كذلك فإنه من الخطورة بمكان أن على رأس هؤلاء المسيحيين الصهاينة عدداً كبيراً من الوعاظ المشهورين، الذين يستحوذون على شعور ملايين الأمريكيين وينالون إعجابهم، حتى بعد أن تعرض بعض هؤلاء الوعاظ لفضائح أخلاقية ومادية فى السنتين الماضيتين، ومن هؤلاء الوعاظ جيمى سواجرت، جيم بيكر وركسى هامبرد، وبات روبرتسون وجيرى فالويل.

لقد أنشأ هؤلاء المسيحيون الصهاينة ما أسموه «بمؤسسة بناء المعبد» ولهذه المؤسسة فروع متعددة فى الولايات المتحدة وإسرائيل. والهدف من ذلك أن يرضى هؤلاء اليهود الله حسب روايتهم.إن لهؤلاء المسيحيين الصهانية أموالا طائلة، توضع تحت تصرف الإسرائيليين. ولقد صرح القس جيمس هيوستن بأنه ومعه آخرون قد قاموا بحملة لجمع الآلاف من الدولارات للدفاع عن بعض الإسرائيليين، الذين وجهت إليهم تهمة الهجوم على المسجد الأقصى عند حرقه فى أغسطس عام ١٩٦٩، وكذلك قال فالويل، أحد أقطاب «حركة المسيحيين الصهاينة» فى حفلة تكريم أقامها لموشيه ارينز وأريل شارون أنه من الأخطاء التى وقعت فيها الولايات المتحدة أنها تدخلت لوقف مذبحة الفلسطينيين فى لبنان، والتى وقتل وجرح فيها عشرات الآلاف من الفلسطينيين واللبنانيين، وذكر أنه على الولايات المتحدة أن تؤيد إسرائيل تأييداً كاملاً فى أى حرب قادمة «لتمحو الأعداء»، وعندما قال ذلك صفق له الحاضرون بكل الحماس وهتفوا «آمين» «هاليلويا».

إن تأثير جماعة المسيحيين الصهاينة على الرأى العام والحكومة الأمريكية فى تزايد مستمر مع الأسف الشديد، ولقد زاد التأييد لإسرائيل من قبل هذا الاتجاه الدينى المتطرف للغاية، والذى نستغله جماعات الضغط اليهودية فى تعبئة وشحن الأمريكيين لتبنى قضيتهم.. الآن لمعطيات الصراع الإسرائيلى ذلك التعاون الوثيق بين هؤلاء المسيحيين الصهاينة والمسئولين الإسرائيليين فى مجال وضع السياسات التنفيذية، وتعبئة الشعب الأمريكى كله فى المستقبل، حول أهداف حركة المسيحيين الصهاينة والتطرف الإسرائيلى. ومما هو جدير بالذكر أنه عند زيارة أى من أعمدة حركة المسيحيين الصهاينة لإسرائيل يستقبل على أعلى المستويات الرسمية هناك، ولقد بدأ هذا التقليد عندما استضاف مناحم بيجن فى منزله القس دفيد لويس، طوال مدة زيارته لإسرائيل. ونجد أثر هذه العلاقة متجسداً فى ممارسة الضغط على الإدارة الأمريكية، وفيما يصدر سياسياً على الصعيد الأمريكى. ويتخذ التعاون بين حركة المسيحيين الصهاينة وإسرائيل شكلاً متصاعداً منذ عام ١٩٨٣، حين أعلن عن تكوين المؤتمر التضامنى بين المسيحيين الصهاينة واليهود AFFICC، والذى أوصى بدعم مفاهيم المسيحيين الصهانية على مختلف المستويات فى الولايات المتحدة ووضع الخطط الخاصة بذلك.

إذاً فإننا فى نهاية الأمر بصدد مجابهة نوعين من التطرف: أحدهما من الداخل قادم من الخارج، فعلى الصعيد الداخلى يجب تعميق الإحساس بمفهوم الثقافة الجامعة؛ بحيث لايكون هذا المفهوم مجرد كلمات جوفاء، يستخدمها البعض، هذا بالإضافة إلى الإعداد الجيد والاستخدام الأمثل للغة الحوار لاحتواء الآثار السلبية للتطرف، ومن هنا وجب فتح قنوات التعبير وأبواب المشاركة للجميع بصورة أكبر وأعمق، دون قصر ذلك الأمر على فئة وحجب فئة أخرى، من ذوى الكفاءات العالمية بالوطن.

أما على الصعيد الخارجى، فيلزم مع ضرورة تعديل صورة الأوضاع التفاوضية الداخلية بين عناصر الأمة كما ذكر أنفاً، أن يقوم المفاوض الذى يمثل الواقع العربى والإسلامى على المستوى الدولى بتعبئة الرأى العام العالمى؛ لمجابهة ذلك التطرف الدينى المتمثل على الحق والعدل هو تتفق عليه كافة الأديان السماوية فى حقيقتها. ولكن واقع الأمر الآن يقول إن التطرف القادم من الخارج يرى التأييد من بعض القوى المعادية والمعرضة للاستقرار والتنمية بمنطقتنا. إذاً فإن هذا التطرف لن يتم كبحه واحتواؤه فى غياب الاستراتيجيات الفعالة من جانبنا؛ لمواجهته بحسم وعقلانية. وها هى الأوضاع تتدهور فى منطقتنا يوماً بعد يوم؛ مما ينبثق عنه وضع عالمى غاية فى التناقض، ففى الوقت الذى يدخل فيه العالم كله مرحلة مايسمى بالقرية العالمية؛ حيث تسود التسويات السلمية ونظريات «اكسب اكسب» بدلا« من اكسب كل شئ أو اخسر كل

شئ » نجد أن هنـاك ممارسـات فى حالة عـدم الاستقرار؛ لتفويت فرص التقدم والبناء عليه. ومن هنا كان على ذلك المفاوض الممثل للواقع العربى الإسلامى أن يسرع فى توظيف تلك الاستراتيجيات الفعالة، التى تلزم المجتمع الدولى بالدخول فى معاهدات واتفاقيات مبناها الالتزام المتكافىء والعـادل بين كافة الأطـراف للحد من ذلك التطرف.

obeikandl.com